دروس وعبر من تحويل القبلة

١٣ شعبان ١٤٣٧هـ / ٢٠ مايو ٢٠١٦م

أولا: العناصـــر:

١. تحويل القبلة والتكريم الإلهي للمصطفى (صلى الله عليه وسلم).
٢. ضرورة الاستجابة لأمر الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وسلم).
٣. إظهار قوة الإيمان والإخلاص.
٤. المسجد الأقصى ومكانته في ضمير الأمة.

ثانيا: الأدلـــة:

من القرآن الكريم:

١. يقول تعالى:{سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ * قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ } [البقرة: ١٤٢ – ١٤٤] .

٢. ويقول تعالى:{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}[البقرة: ١١٥].

٣. ويقول تعالى:{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا} [النساء: ٨٠].

٤. ويقول تعالى:{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ.....} [الإسراء: ١].

٥. ويقول تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢].

من السنة النبوية:

١. عَنِ الْبَرَاءِ (رضي الله عنه) أَنَّ النبيّ (صلى الله عليه وسلم) كَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ الْمَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ (أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ) مِنَ الأَنْصَارِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا ، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلاَّهَا صَلاَةَ الْعَصْرِ ،

وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ ، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ ، وَهُمْ رَاكِعُونَ ، فَقَالَ أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) قِبَلَ مَكَّةَ ، فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ الْبَيْتِ ، وَكَانَتِ الْيَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ إِذْ كَانَ يُصَلِّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، وَأَهْلُ الْكِتَابِ ، فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ الْبَيْتِ أَنْكَرُوا ذَلِكَ) (رواه البخاري).

٢. وعن عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ: " بَيْنَما النَّاسُ بِقبَاءٍ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ إِذْ جَاءَهُمْ آتٍ؛ فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) قَد أُنْزِلَ عَلَيْهِ اللَّيْلَةَ قُرْآنٌ ، وَقَدْ أُمِرَ أَنْ يَسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةَ، فَاسْتَقْبِلُوهَا ، وَكَانَتْ وُجُوهُهُمْ إِلَى الشَّامِ ، فَاسْتَدَارُوا إِلَى الْكَعْبَةِ "(متفق عليه).

٣. وعن أمّ المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) قالت: (كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَأَقُولُ: أَتَهَبُ المَرْأَةُ نَفْسَهَا؟» فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:{تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكَ}[الأحزاب:٥١] قُلْتُ: مَا أُرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ) (رواه البخاري).

٤. وعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): (يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ :هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ يَا رَبِّ . فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ . فَيَقُولُ: مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ). ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} (رواه البخاري).

٥. وعَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ : قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ) ، قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ) (رواه مسلم).

٦. وعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (صحيح مسلم).

ثالثا: الموضوع:

من الأحداث العظيمة في تاريخ الإسلام حادثة تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة بيت الله الحرام ، قبلة الخليل إبراهيم (عليه السلام) ، ذلكم الحدث الجليل يعد من أبرز مظاهر التكريم الإلهي للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، حيث استجاب الحق (سبحانه وتعالى) لرغبة حبيبه ومصطفاه ، وحقق له أمله ورجاءه ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم)

يتوجه في صلاته إلى الكعبة المشرفة طيلة إقامته بمكة ، فلما هاجر إلى المدينة المنورة توجه في صلاته بأمر ربه إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان (صلى الله عليه وسلم) يحب أن يتوجه في صلاته إلى المسجد الحرام ، فتَطَلَّعَ (صلى الله عليه وسلم) إلى السماء ، واشتد شوقًا إلى نزول الوحي عليه بالتوجه إلى بيت الله الحرام ، لأنه قبلة أبيه إبراهيم – عليه السلام– فأجابه الله تعالى إلى مبتغاه ، وأمره أن يتوجه إلى الكعبة المشرفة ، ونزل قول الله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ} [البقرة:١٤٤] ، وكان ذلك في السنة الثانية من الهجرة.

وفي التعبير بقوله تعالى: {فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا}ما يشير إلى أن التحويل يوافق رضا رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وهو دليل على محبة الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم) ، ولهذا قال سبحانه وتعالى في آية أخري: {ولسوف يعطيك ربك فترضي} ، وتشير السيدة عائشة (رضي الله عنها) إلى هذا الأمر فتقول : (مَا أَرَى رَبَّكَ إِلَّا يُسَارِعُ فِي هَوَاكَ) (رواه البخاري).

ولقد أصّل ورسّخ حدث تحويل القبلة مبدأ الوسطية في الأمة الإسلامية ، التي جمعت بين قبلتين عظيمتين ، قبلة إبراهيم (عليه السلام) ، وقبله أنبياء بني إسرائيل ، فأمة الإسلام أمة وسط، قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[البقرة:١٤٣]، فوسطية الأمة شاملة جامعة ، وسطية في الاعتقاد والتصور ، وسطية في الشعائر والتعبد ، وسطية في الأخلاق والسلوك ، وسطية في النظم والتشريع ، وسطية في الأفكار والمشاعر ، وسطية في التنظيم والتنسيق ، ولم تتحقق الوسطية بمفهومها العام لأمة من الأمم كما تحققت لأمة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وتظهر الخيرية والوسطية أيضًا في الشهادة على الأمم السابقة، قال تعالى: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النّاسِ}[البقرة: ١٤٣] فأمة الإسلام تشهد يوم القيامة أن الرسل بلغوا رسالة الله و دعوته إلى أممهم، فعَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) (يُجَاءُ بِنُوحٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ بَلَّغْتَ ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ . فَتُسْأَلُ أُمَّتُهُ هَلْ بَلَّغَكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ مَا جَاءَنَا مِنْ نَذِيرٍ. فَيَقُولُ مَنْ شُهُودُكَ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ . فَيُجَاءُ بِكُمْ فَتَشْهَدُونَ)، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم):{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا}(رواه البخاري) ، فحري بالمسلمين أن يعودوا إلى وسطيتهم التي شرفهم الله بها عن سائر الأمم والشعوب.

وجاء تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام لتقر عينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد كان قلبه الشريف معلقًا بمكة، يمتلئ شوقًا وحنينًا إليها ، إذ هي أحب البلاد إليه، وقد أخرجه قومه إلى المدينة المنورة التي شرفت بمقامه الشريف فخرج من بين ظهرانيهم واستقر بالمدينة المنورة، وظل متعلقًا بمكة المكرمة ، فأرضاه الله عز وجل بأن جعل القبلة إلى البيت الحرام ، فكانت الإقامة بالمدينة والتوجه إلى مكة في كل صلاة ، ليرتبط عميق الإيمان بحب الوطن.

وفي حدث تحويل القبلة الكثير والكثير من الدروس والعبر، ما أحوج الأمة إليها في هذا العصر منها:

ضرورة الاستجابة لأمر الله عز وجل واتباع رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم):

فبمجرد صدور الأمر الإلهي بالتحول في الصلاة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام استجاب المؤمنون المخلصون من الصحابة الكرام (رضوان الله عليهم) لهذا الأمر وتحولوا وهم في صلاتهم ، فعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) أَنَّ النبيَّ (صلى الله عليه وسلم) كانَ أولَ ما قَدِمَ المدينةَ نَزَلَ على أَجْدَادِهِ – أو قال أَخْوَالِهِ– من الأنصار ، وَأَنَّه صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ستَّة عَشَرَ شَهْراً، أَوْ سَبْعَة عَشَرَ شَهْراً، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ الْبَيْتِ، وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاةٍ صلاها صلاةَ الْعَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قومٌ، فَخَرَج رجُلٌ مِمَّن صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكعُونَ فقالَ أَشْهَدُ بِاللهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم) قِبَلَ مَكَّةَ فَدَارُوا– كَمَا هُم – قِبَلَ الْبَيْتِ) (رواه البخاري).

وفي حديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : (بينما الناس في صلاة الصبح بقُباء إذ جاءهم آتٍ فقال: إن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد أُنزل عليه الليلة، وقد أُمِرَ أن يَستقبل الكعبة، فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة) (متفق عليه).

فما أعظم الاستجابة الفورية من الصحابة (رضوان الله عليهم) لأمر الله عز وجل ، واتباع أمر رسوله الكريم (صلى الله عليه وسلم) بدون تسويف ولا جدال لدرجة تجعلهم يصلون نصف الصلاة إلى الأقصى ونصفها إلى القبلة الجديدة (الكعبة المشرفة) ، فتحولوا في الحال أثناء صلاتهم وهم في هيئة الركوع من ناحية المسجد الأقصى إلى البيت الحرام ، وهكذا ينبغي أن يكون هذا هو حال المسلم الصادق يدور مع أمر الله أينما دار، مقصوده دائما هو الله وحده، قال تعالى:{وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ١١٥].

لقد ضرب الصحابة (رضي الله عنهم) أروع الأمثلة وعلمونا كيف نستقبل الأوامر الإلهية ، والتوجيهات النبوية ، فلنا فيهم الأسوة والقدوة الحسنة في سرعة الاستجابة لأمر الله (عز وجل) وأمر رسوله (صلى الله عليه وسلم) فلنتحول بكل ثقة ويقين وحسن اعتماد على الله (عز وجل) إلى منهج الإسلام بكلياته وجزئياته ، كما تحول الغرُّ الميامين وهم ركوع.

ومن الدروس المستفادة من تحويل القبلة: إظهار قوة الإيمان والإخلاص : فقد كان الأمر بتحويل القِبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة سببًا هامًّا لتمحيص الصف المسلم ، وإظهار قوة إيمان المؤمنين المخلصين وثباتهم ، فقد كان تحويل القبلة أمرًا شاقًا على النفوس، إلا على الذين هدى الله ، وذلك بتسليم الأمر لله (عز وجل) وحده ، فهو الفعال لما يريد ، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، وله الحكمة التامة والحجة البالغة ، يقول تعالى :{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[البقرة: ١٤٣]، وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال: (وَكَانَ الَّذِي مَاتَ عَلَى الْقِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ قِبَلَ الْبَيْتِ رِجَالٌ قُتِلُوا لَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ فَأَنْزَلَ اللَّهُ:{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

كذلك أظهر حدث تحويل القبلة المنافقين والمرجفين في المدينة الذين قالوا : ما يدري محمد أين يتوجه؟! إن كانت القبلة الأولى حقًا فقد تركها ، وإن كانت الثانية هي الحق فقد كان على باطل ، وكثرت أقاويل السفهاء من الناس ، وكانت كما قال الله تعالى:{وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ}[البقرة:١٤٣] ، فكان هذا الحدث امتحانًا من الله لعباده ، ليرى مَن يتَّبعُ الرسول منهم ممن يَنْقَلِبُ على عَقِبَيه ، فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم قالوا: سمعنا وأطعنا ، قال تعالى:{وقالوا آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}[آل عمران: ٧] ، فهم أهل الهداية والرشاد ، وأما المشركون فقالوا : كما رجع إلى قبلتنا يوشك أن يرجع إلى ديننا ، وأما اليهود فقالوا : خالف قِبْلة الأنبياء. ورد الله على الجميع فقال لحبيبه (صلى الله عليه وسلم):{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[البقرة: ١٤٢] ، أي: أنّ الحكم والتصرف والأمر كله لله وحده ، فحيثما وَجَّهَنا تَوَجَّهْنا ، ولو وَجَّهَنا كل يوم مرات إلى جهات عديدة فنحن عبيده وتحت تصرفه ، فالعلة لا تتعلق بالأمر بالتوجه إلى المسجد الحرام أو المسجد الأقصى كما ظن السفهاء ، وإنما العلة في الآمر وهو الله (عز وجل) ، وهذا المعنى لا يصل إليه إلا قوي الإيمان.

إن المسلم الصادق قوي الإيمان يتبع تعاليم دينه ، دون اعتراض أو جدلٍ ، وأما المنافق ضعيف الإيمان يحاول اختلاق المشكلات ، فيكثر من السؤال ، لا بقصد بكثرة سؤاله الفهم ، وإنما بقصد التشكيك في الثوابت الدينية.

ومن الدروس المستفادة من تحويل القبلة: إظهار مكانة المسجد الأقصى في ضمير الأمة وكيانها: إن لكل أمة مقدسات تعتزّ بها وتفرخ ، وتلتفّ حولها، وتدافع عنها بكل غال ورخيص ، والمسجد الأقصى أحد مقدسات الأمة وله مكانة ومنزلة عظيمة في الإسلام ، فهو ثاني المساجد التي أسست على وجه الأرض ، فعن أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ : أَىُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِى الأَرْضِ أَوَّلُ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ)، قُلْتُ : ثُمَّ أَىٌّ ؟ قَالَ : (الْمَسْجِدُ الأَقْصَى)، قُلْتُ : كَمْ بَيْنَهُمَا ؟ قَالَ: (أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ) (صحيح مسلم). وهو ثالث الحرمين الشريفين اللذين لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليها، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ: (لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ (صلى الله عليه وسلم) ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى) (متفق عليه)، وهو أرض المحشر والمنشر ، فعَنْ مَيْمُونَةَ مَوْلَاةِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ! قَالَ: (أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ، ائْتُوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلَاةٍ فِي غَيْرِهِ) قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: (فَتُهْدِي لَهُ زَيْتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ)(رواه ابن ماجه)، وهو منتهى إسراء سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) و بداية المعراج إلى الملأ الأعلى ، وشرف الله البقعة المحيطة به بالبركة ، كما قال تعالى في مطلع سورة الإسراء: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ.....} [الإسراء: ١].

وكأن هذا الترابط بين المساجد الثلاث يوحي بضرورة المحافظة عليها وعدم الفصل أو التفريط في أحدها، فمن فرَّط في المسجد الأقصى يوشك أن يفرِّط في المسجد الحرام.

ولن تستطيع الأمة أن تحافظ على مقدساتها إلا بالاعتماد على الله عز وجل وتقواه أولاً ثم بوحدة الصف والكلمة، ثم بالعمل والإنتاج حتى تمتلك قوتها وغذاءها وكساءها ودواءها وسلاحها فتمتلك كلمتها وحريتها وإرادتها.

ومن أهم الدروس المستفادة من تحويل القبلة: وحدة الأمة الإسلامية. فأمة الإسلام أمة وحدها الله عز وجل في كل شيئ ، وحّدها في عقيدتها وقبلتها ونبيها وكتابها ، وحدها على

اختلاف المواطن والأجناس والألوان واللغات، وصدق الله العظيم حيث قال: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢].

لقد كان تحويل القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام درسًا عظيما في الوحدة، فالله تعالى أمرنا أن نكون متحدين متحابين فلماذا لا نكون على قلب رجل واحد؟! .

فالمسلمون مهما تباعدت أقطارهم ودولهم واختلفت أجناسهم وألوانهم يتجهون إلى قبلة واحدة، فتتوحد عواطفهم ومشاعرهم، ويستشعرون بقيمة الانتماء الروحي والديني والوطني في اتجاههم إلى أقدس بقعة وأشرف مكان اختاره رب العزة سبحانه ليكون بيتًا له ، وتكون الأمة كالجسد الواحد في قوته وصلابته ، فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ (رضي الله عنهما) قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): (مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى) (صحيح مسلم).

إنها لدروس عظيمة نستخلصها من هذا الحدث الجليل في تاريخ الإسلام، ما أحوج الأمة إليها لتسعد في الدارين، وتتوحد كلمتها، ويتحد صفها في ظل الظروف القاسية التي يمر بها العالم اليوم ، حيث لا مكان فيه للضعفاء ولا للمتفرقين.